[٣]

كيسنجر والولايات المتحدة والنزاع العربي الاسرائيلي

لقد استحوذت شخصية هنري كيسنجر على مخيلة الكثيرين ، فالمكانة الرفيعة والنجاح الواضح للعيان يحدثان هذا التأثير دائما فالى اي فئة من الرجال ينتمي كيسنجر ؟ في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة كان وليم ي. اليوت مرشده واستاذه ، وهو رجل وقور كثيرا فانتقل بين كامبردج ووأشنطن ليضع خبرته تحت تصرف العناصر المختلفة للحكومة الاميركية . وقد كان اليوت مولعا بمفهوم الواقعية السياسية الذي علمه الالمان للعالم . ويتلخص هذا المفهوم في أن على المرء [أي السياسي] ان يحيط علما باهداف الدول الاخرى وتطلعاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية كي يستطيع التعامل معها أما البيانات والقرارات الصادرة عن تلك الدول فلا بأس من تجاهلها فالاهمية تكمن في مراقبة تحركات الدول المعنية وتتبع بحثها عن أسواق خارجية ولعبات الحرب التي تمارسها ومشاريع الانماء الحربي التي تقرها اذ أن هذه التحركات هي التي تكشف النوايا الحقيقية للدول .

وقد تبنى كيسنجر ، بدوره ، مفهوم الواقعية السياسية فأصبحت نظرته للحياة عارية من الزخرفة تتبين العورة والبشاعة والطموح والجشع والتزلف . وبالتالي لا يقيّم كيسنجر الناس قط بموجب ما يقولونه ولكن بموجب ما يفعلونه . وهو يدرك ان ممارسات الشعوب والامم مرهونة بمنطق المصلحة الذاتية المدروسة ، ذلك بغض النظر عما تدعيه وتبشر به تلك الامم. وهكذا لم يضع كيسنجر وقته في هارفارد بقراءة البيانات التي تصدرها الحكومات لتبرر أعمالها « السيئة » كما تجاهل الخطب المنمقة المدروسة التي يبرر رؤساء الدول من خلالها اختلالا ما او توسيع رقعة نفوذ في منطقة أو اخرى . واستعاض كيسنجر عن هذه البيانات والتصريحات بجداول تتناول البنية التنظيمية للجيوش المختلفة وحجمها العددي والرتب ومستوى التدريب . كما اطلع على المعلومات والارقام المتعلقة بالتصدير والاستيراد والموارد الطبيعية الضرورية والاستثمارات الخارجية للدول المختلفة . ويضيق كيسنجر ذرعا بالاخلاقيات التي يحلو للسواد الاعظم من الناس ان يقيموا من خلالها الاحداث اليومية . وعلى سبيل المثال ورد في كتاباته مرارا عديدة انه ليس بالضرورة ان يكون احلال السلم ضمن برنامج العمل الدبلوماسي فاحلال السلم في العالم محال . اذ ان الشعوب والامم ستظل تتزاحم على رفع العيش والاسواق الخارجية ومناطق النفوذ . ثم ان المعاهدات وجدت لتخرق لان الشعوب والامم اليوم تتصف بالحيوية والطموح . وهيمنة السلم في عالم كعالمنا هذا أمر متعذر، وبالتالي علينا ان نكتفي بحالة استقرار نسبي . ويتوجب على العمل الدبلوماسي مجابهة الواقع الذي يتمثل في حالة استقرار نسبي تتخلله أزمات وحروب بين الفينة والاخرى . ومن العبث ان نتوقع ان يسود السلام العالم كافة بحيث يتمكن كل كائن بشري من التفيؤ تحت ظلال شجرته الوارفة .

ما هو العمل الدبلوماسي اذن ؟ العمل الدبلوماسي الناجح ليس مشروطا باحلال السلم بل هو مرتبط بالقدرة على تطويق الأزمات والحروب وخفض العنف الى الحد الادنى الذي لا مفر منه . اما محك العمل الدبلوماسي فيتمثل بالقدرة على الحد من الحروب وخفضها الى نسبة معقولة وخوض الحروب فقط بغرض تحقيق أهداف ممكنة .

ما هي أهداف كيسنجر القصوى في محادثات السلم بجنيف ؟ يرغب كيسنجر بالتوصل الى سلم يدوم عشرة أعوام على الاقل . أما احلال « سلم حقيقي » وفقا لتصورات الامم المتحدة المنعكسة في قرار الجمعية العامة للامم المتحدة ، الصادر في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ فأمر ليس في برنامجه اذ انه يرغب في الوصول الى أفضل نتائج ممكنة ، في اطار الظروف الراهنة كي يؤخر اندلاع حرب جديدة . وفي الوقت نفسه يعمل كيسنجر على ان تبقى اسرائيل ، التي هزمت في حرب اكتوبر ، قوية عسكريا .

وفيما يلي أبرز الوقائع لاجتماع عقده كيسنجر مع مجموعة من المفكرين اليهود بشهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ وعبر خلاله عن آرائه في الحرب العربية الاسرائيلية الاخيرة . وقد تسربت انباء هذا الاجتماع الى العالم الخارجي تدريجيا منذ ذلك